

# أنموذج الإنسان المرتكز على التوحيد في ضوء القرآن بمنظور رسائل النور

د. موسى البسيط<sup>٢</sup>

بين يدي الموضوع

الحمد لله الذي خلق الإنسان، علّمه البيان، جعلنا على الفطرة موحّدين وهدانا لهذا الدين (فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ). [الروم: 30]

فإن واقع الإنسان اليوم إما موحد أو غير موحد، لكنّه في أصل خلقته التي فطر عليها مؤمن موحد عالم متعلم، على خلاف ما يردّده أصحاب الثقافات التي لا تقوم على أساس من التوحيد والمعرفة المتلقاة على الوحي، وأقرأ قصة آدم ﷺ كيف فطره الله على الإيمان والتوحيد، وعلمه وهذّبه ورفع على الكائنات كلّها قال تعالى : (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ). [البقرة : 31]

والإنسان مخلوق مكرم، خلقه ربه في أحسن تقويم، وصوره فأحسن صورته، ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته قال تعالى : (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ. فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ. فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ). [ص : 71-73] ولأهمية الإنسان في الكون سخر له ربه ما في الكون قال تعالى : (أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً) . [لقمان : 20]

---

<sup>٢</sup> من مواليد القدس سنة 1955 نال شهادة الدكتوراه في السنة وعلومها وعمل أستاذًا مساعدًا في جامعة الملك سعود بالرياض منذ سنة 1988-1990. ثم استاذًا مشاركًا في جامعة القدس سنة 1991 ثم عميدًا لكلية الدعوة والعلوم الإسلامية في أم الفحم، له 3 مؤلفات وبحوث عدة.

والإنسان في تكوينه ينزع إلى الشبه بالملائكة من جهة وبالحيوان من جهة أخرى، يشبه الملائكة في العبادة والتطلع إلى السمو الروحي وإحاطة المعرفة.....، ويشبه الحيوان في انه يبحث في أعماله عن حظّ نفسه وحصة ذاته.

لقد أودع الله في الإنسان وسائل المعرفة، وجعل لديه الاستعدادات كلها ليؤدي مهمته التي من أجلها خلّق "فالإنسان من حيث الصنعة الجامعة المتقنة يملك الأجهزة والجوارح، بحيث يعرف أنواع النعم التي لا تعد ولا تحصى".

إن الإنسان لا يجد قيمته الحقيقية إلا بالتوحيد، إنه أصفى لذة وأنقى سعادة لحياة الإنسان أن يؤمن جازماً بأنه عبدٌ خالصُ العبودية لإله واحد متفرد.

ومما يؤهل الإنسان للخطاب الإلهي انتسابه إلى الواحد الأحد فيقوم الإنسان بإظهار جميع آثار الصنعة الكامنة في الإنسان، فتتعين بذلك قيمة الإنسان على مدى بروز تلك الصنعة الربانية، فينال الإنسان الشرف الذي يؤهله لجنة ربه عز وجل، والإنسان الموحد تصطبغ حياته بسر التوحيد: مشاعره وعقله وجسده وكيانه وواقع حياته، الأمر الذي يجعله مميزاً على كل شيء، فيحتل بذلك مكانته المرموقة، لا بين البشر فحسب، بل بين مخلوقات الكون كلها.

وسوف أتناول في بحثي (نموذج الإنسان المرتكز على التوحيد) النقاط التالية في ضوء ما قدمت ومن خلال رسائل النور :

ماهية الإنسان ومكانته وما فيه من استعدادات فُطر عليها.

غاية حياة الإنسان.

اثر التوحيد في حياة الإنسان وانعكاسه عليها.

تجليات الأسماء الحسنى في حياة الإنسان.

والله أسأل أن يوفقنا لما يحب ويرضى.

### ما الإنسان ؟

#### ماهية الإنسان :

" الإنسان " الاسم الذي تردد في كتاب الله تسعين مرة، مشتق من الأنس<sup>1</sup> لكون أفراده يأنس بعضهم ببعض، فلا يستغني فردٌ من أفرادهِ عن جماعة الناس، أو هو مشتق من النسيان، فالنسيان خصلة ورثها البشرُ من أبيهم آدم عليه السلام (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْلُغَ لَهُ الْهَؤُلَاءِ أَنْ يَقُولَ لِلَّذِينَ نَنْسِيهِمْ كَلِمَاتٍ مِمَّنْ نَبْلُغُهُمْ أَلَمْ يَعْلَمِ أَنَّ الْيَوْمَ بِالْآدَمِ الْكِبَارُ) [طه : 115] .

#### ب - الكائن المميز في الخلق والخلق :

إن للإنسان طبيعة ازدواجية منسجمة، يجمع في تكوينه بين قبضة الطين ونفخة الروح، خلقه الله من طين أولاً ثم جعل بعد ذلك نطفة في قرار مكين، حتى إذا أكتمل بعد التخلق جاء التقدير الإلهي بإنشائه خلقاً آخر فأصبح الكائن المتكامل.

إن خلق الإنسان من طين من مقتضياته الرغائب المتعددة مما يحسّه هذا الكائن ويميل إليه، وكذلك المشاعر المتأججة في النفس البشرية ما بين مشاعر حميدة وأخرى ذميمة.

لكن خلق الإنسان، فيه النفخة الروحية وهي القبس المشع واللطفة النورانية المهداة في تكوين هذا الكائن قال تعالى ( فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ) [الحجر : 29] فما أعظم وأجمل مقتضياتها.

المادة بنوازعها الثقيلة تنجح بصاحبها صوب الأرض، ومن مقتضياتها الغرائز والأهواء وحظوظ النفس من الشهوات التي تنزل بالنفس إلى الأرض.

أما الروح فطبيعتها العلوية القدسية حيث الإشراف والسطوع والجمال والترفع عن الشرور والمفاسد - ترقى بالإنسان في عوالم الكمال بما ينعكس على الواقع البشري بكل أوجه الخير والفضيلة.

ويتمخض ذلك عن ولادة الإنسان السليم المميز الحافل بالجمال والحب للناس من غير أثر ولا تعصب ولا استكبار.<sup>2</sup>

هذا التميز في الخلق بينة الأستاذ النورسي، وبين انعكاس هذا التميز الذي ميناه على الطبيعة الازدواجية في خلق هذا الكائن.

ويرى النورسي أن الإنسان نوعٌ متميز كل التميز في قصر الكون العظيم.

" هذا الإنسان شبيه بالملائكة في العبادة الكلية وشمول الإشراف، وإحاطة المعرفة وكونه داعياً إلى الربوبية الجليلة، بل الإنسان هو أكثر جامعية من الملائكة، لأنه يحمل نفساً شريرة شهوية - بخلاف الملائكة - وأمامه نجدان له أن يختار، إما رقياً عظيماً أو تدنياً مريعاً.

لكن ما وجه شبه الإنسان بالحيوان ؟  
يجيب النورسي على ذلك بأن الإنسان يبحث في أعماله عن حظٍ لنفسه وحصةٍ لذاته  
لذا فالإنسان له مرتبتان :

الأول : جزئي حيواني معجل، والثاني : كلي ملائكي مؤجل<sup>3</sup>  
إن الإنسان أكرم المخلوقات بسر النور الذي نُفخ فيه، وبسر التمييز الذي حباه الله  
به.

### ج - الإنسان كائن مفضل :

جعل الله للإنسان منزلةً عظيمةً ومكانةً عاليةً رفيعةً، إذ هو في الذروة بين الخلائق  
(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ  
عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) [الإسراء : 70]  
ومن مظاهر تكريم الإنسان، تسليطه على سائر الخلق الذين جعلهم الله مسخرين له،  
ليكون بذلك سيد الكائنات بما يتجلى فيه من المقومات البشرية والكمالات الإنسانية  
كخصائص العقل والوعي والشعور....

إن من شواهد تفضيل هذا الكائن استخلافه في الأرض تكريمًا له.  
(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) [البقرة : 30]، إنها المشيئة  
العليا أسلمت لهذا الكائن زمام الأرض، وأطلقت فيها يديه بما يملك من طاقات كامنة  
واستعدادات.

إن الإنسان سيد الكائنات المشهود في هذا الكون، وفي تسخير الكائنات له بما يتيسر  
له حسن الاستعمال تحقيق لمقتضيات الاستخلاف في الأرض.  
(أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ  
ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً) [لقمان : 20]

فكأن الإنسان بسر خلافته في أرض الله، وبسر تسخير الكون كله، وبسر حمله  
الأمانة، وبسر قيامه بأمر الله وعبادته، أكرم مخلوقات الله جميعاً.  
إن مكانة الإنسان عاليةً عظيمةً لما أودع فيه من الأسرار العظيمة.  
"ولما كان الإنسان أجمع ثمرة من ثمرات هذا الكون، فقد أدرجت في قلبه الذي هو  
نواة تلك الثمرة محبة قادرة على الاستحواذ على الكائنات كلها".<sup>4</sup>

### د - الإنسان كائن ذو تكوين جامع متكامل :

ويتكامل الإنسان فهو ذو مقومات ومركبات عضوية ونفسية وعقلية وروحية، هي  
مجموعة من الأجهزة تكمل بعضها بعضاً بانسجام لا يطغى إحداها على الآخر.

إن الإنسان تحصيلٌ لجملة متماسكة من المركبات المؤتلفة، يدعم بعضها بعضاً يؤلف بينها التماسك والترابط المحكم الوثيق.

"إن تكوينه جامعٌ متقنٌ، يملك من الأجهزة والجوارح ما يُعرفه أنواع النعم التي لا تُحصى ولا تُعد".<sup>5</sup>

لقد خلق الله اللطائف والحواس والمشاعر في وجود الناس، وأدرجها في فطرتهم مستنداً إلى أساسين اثنين هما :

استشعارُ الشكر تجاه كل نوع من أنواع النعم التي أسبغها المنعم سبحانه.

والثاني : معرفة أقسام تجليات الأسماء الحسنى التي نعم الوجود كله معرفتها.

وعلى هذين الأساسين تنمو الكمالات الإنسانية.<sup>6</sup>

ويجدر بنا ونحن نتناول بالبحث الإنسان صاحب الصنعة الجامعة والأنموذج المرتكز إلى الإيمان، أن نعرف ماهية الحياة الذاتية له، فليس الإنسان ذلك الكيان المادي الذي يشارك الحيوان في حاجاته الأساسية وتطلعاته الآنية، بل إنه أحسن تقويم للكمالات المبتوثة في الموجودات والمنشورة على الأوقات.

يقول الأستاذ النورسي :

" ماهية حياتك الذاتية أنها فهرسُ الغرائب التي تخص الأسماء الحسنى.

ومقياسٌ مصغر لمعرفة الشؤون الإلهية وصفات تجلياتها.

وميزانٌ للعوالم التي في الكون، ولائحةٌ لندرجات هذا العالم الكبير.

وخريطة لهذا الكون الواسع وفذلكة لكتاب الكون الكبير.

ومجموعة مفاتيح تفتح كنوز القدرة الإلهية الخفية.<sup>7</sup>

إن الإنسان المؤمن الموحد المدرك لماهية حياته، ليعي الشأن العظيم والأهمية الكبيرة التي يتمتع بها وسط الخلائق في هذا الكون، منطلقاً من الأسماء الحسنى التي علمها آدم، فاختصه الله بها وما علمها غيره، ليقوم بواجب الخلافة والعمارة واستكشاف الكنوز وفتح المغاليق على أتم وجه وأكملة.

### غاية الخلق للإنسان.. وغايات حياته

غاية خلق الإنسان ذكرها الله تعالى بقوله (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)

غير أن التفصيل في غايات حياة الإنسان، الأنموذج المرتكز على الإيمان، يستلزم تدبراً عميقاً لتنزلات الوحي، وصولاً إلى الوقوف على الغايات الجليلة البديعة.

والأستاذ النورسي "في كلماته" النفيسة يحدّد لنا هذه الغايات في تسع نقاط، متدرجاً في ذكرها، إبتداءً من الشكر الكلي الذي يجدر بالإنسان توجيهه إلى بارئه، وإنتهاءً بادراك درجات القدرة العظمى.

إن مهمة هذا المخلوق الإنسان، مهمةٌ - لا شك - عظيمة، إنها المعرفة بذات الله وصفاته وأفعاله، وتقديره حق قدره، فتأمل هذه الغايات :

أولاً : القيام بالشكر الكلي ووزن النعم المدخرة في خزائن الرحمة الإلهية بموازين الحواس المغروزة في جسم الإنسان.

ثانياً : فتح الكنوز المخفية للأسماء الإلهية الحسنى بمفاتيح الأجهزة المودعة في فطرة الإنسان ومعرفة الله بتلك الأسماء.

ثالثاً : إعلان ما رَكِبَتْ فيك أيها الإنسان الأسماء الحسنى من لطائف تجلياتها، وبدائع صَنَعَتِها، وإظهار تلك اللطائف البديعة أمام أنظار المخلوقات بعلم وشعور.

رابعاً : إظهار عبودية الإنسان - الأنموذج المرتكز إلى الإيمان - أمام عظمة ربوبية خالقه بلسان الحال والمقال.

خامساً : التجلّل بمزايا اللطائف الإنسانية التي وهبتها تجليات الأسماء، وإبرازها أمام نظر الله تعالى.

سادساً : شهود مظاهر الحياة لذوي الحياة شهود علم وبصيرة، إذ هي بحياتها ودلالاتها بحياتها على بارئها - سبحانه - ورؤية تسييحاً لخالقها رؤية تفكر وعبره، إذ هي رموز حياتها، وعرض عبادتها الى واهب الحياة - سبحانه - والشهادة عليها، إذ هي غاية حياتها ونتيجتها.

سابعاً : معرفة الصفات المطلقة للخالق الجليل وشؤون الحكمة، ووزنها بما وهب لحياتك من علم جزئي وقدرة جزئية، وإدارة جزئية أي يجعلها نماذج مصغرة، ووحدة قياسية لمعرفة تلك الصفات المطلقة الجلية.

ثامناً : فهم الأقوال الصادرة من كل موجود في العالم وإدراك كلماته المعنوية فيما يخص وحدانية خالقه وربوبية مبدعه.

تاسعاً : إدراك درجات القدرة الإلهية والثروة الربانية المطلقة بموازين العجز والضعف والفقر والحاجة المنطوية في نفسك.<sup>8</sup>

إن السعي لبلوغ هذه الغايات واحدة واحدة، وتحقيقها في نور هدي الوحي الإلهي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، يجعل من الإنسان الأنموذجَ الفريدَ لتجليات

الأسماء والصفات، حتى إنه لينعكس نوراً جامعاً وضياءً لامعاً لا مثيل له في الكائنات، فينسكب في قلبه ووجدانه نورٌ إلهي ساطع يبدد ظلمة الجهل المتولدة من النسيان أو التغافل عن هذه الغايات جميعاً ؛ (الله نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ...) [النور: 35].

وَقَرَأَ أَبِي بِن كَعْب: (الله نور السماوات والأرض مثل نوره في قلب المؤمن.. الآية).

الله تعالى هو صاحب النور في السماوات والأرض، ومنورهما بما بث فيهما من كمال النظام وحسن التدبير، وهو تعالى نور السماء بالملائكة والأرض بالشرائع، وبث نور هدايته في الفطر السليمة، فجاءت هدايته جلية ساطعة.

#### أجهزة الهداية في الأنموذج المرتكز على التوحيد

إن تحقيق الغاية التي خلق الله الإنسان لها، مرهونٌ باستخدام ما أُودع فيه من أجهزة استخداماً صحيحاً لائقاً، وتوجيهها الوجهة الصحيحة، لكن إن أهملها أو قصر في استعمالها يهوي في دركات من الانحطاط والضلال، ذلك ما يؤكدُه النورسي حين يقول مبيناً أهمية الأجهزة وضرورة استثمارها:

"إن الإنسان يشبه البذرة، فلقد وهبت للبذرة أجهزة معنوية من لدن "القدرة" وأدرجت فيها خطة دقيقة ومهمة جداً من لدن "القدرة" لتمكن من العمل داخل التربة، ومن النمو والترعرع والانتقال من ذلك العالم المظلم الضيق إلى عالم الهواء الطليق والدنيا الفسيحة، وأخيراً التوسل والتضرع لخالقها بلسان الاستعداد والقابليات لكي تصير شجرة والوصول إلى الكمال اللائق.

ويخلص الأستاذ النورسي إلى القول: <sup>10</sup>

"فكما أن البذرة هكذا فالإنسان كذلك، أُودعت في ماهيته أجهزة مهمة من لدن القدرة الإلهية، ومُنح برامج دقيقة وثمينة من لدن القدر الإلهي، فإذا أخطأ هذا الإنسان التقدير والاختيار، وصرف أجهزته المعنوية تحت ثرى الحياة الدنيا، وفي عالم الأرض الضيق المحدود إلى هوى النفس، فسوف يتعفن ويتفسخ... لأجل لذة جزئية ضمن عُمر قصير، وفي مكان محصور وفي وضع متأزم مؤلم، وستتحمل روحه المسكينة تبعات المسؤولية المعنوية فيرحل من الدنيا خاسراً.

أجل. إنه الخسران العظيم، لكن لو ربّي نفسه بالاستخدام الصحيح للأجهزة المودعة ووفق الخطة المرسومة، ولو أنه سقى البذرة بماء الإسلام، وغذاها بضيء الإيمان وتحت تراب العبودية موجهاً أجهزتها المعنوية نحو غاياتها الحقيقية بامتثال الأوامر القرآنية، فلا بد أنها ستتشق عن أوراق وبراعم وأغصان تمتد فروعها وتتفتح أزاهيرها في عالم البرزخ، وتولد في عالم الآخرة وفي الجنة نعماً... عندها يصبح الإنسان بذرة قيمة حاوية على أجهزة جامعة لحقيقة دائمة ولشجرة باقية..."  
ويتابع النورسي قائلاً :

"إن السمو والرقى الحقيقي إنما هو بتوجيه القلب، والسر، والروح، والعقل وحتى الخيال وسائر القوى الممنوحة للإنسان إلى الحياة الأبدية الباقية، واشتغال كل منها بما يخصها ويناسبها من وظائف معنوية".<sup>11</sup>

إن الإنسان الأنموذج المرتكز إلى التوحيد، يمكنه أن يحقق الحياة الخالدة وينعم بسعادة الدنيا، إلا أن مشكلة الإنسان في سوء استخدامه لما هو مركز في تكوينه من أجهزة، إنه يقيم نفسه بمنزلة الجماد والنبات والحيوان، بمعنى أنه يريد أن يتهرب من مسؤوليته أمام الله، ويريد أن يهرب من التكليف، يأبى العبودية لله فيسقط في العبودية لغيره، ظنّ أنه تحرر من كل عبودية، والواقع أنه استبدل بالعبودية للخالق العبودية للمخلوق، واستبدل بالإله الواحد آلهة شتى، وأتخذ أرباباً من دون الله.

فأين هذا من المؤمن الأنموذج المرتكز على التوحيد، الذي رفض كل الآلهة الزائفة، وحطّم كل الأصنام في قلبه، ورضي بالله رباً عليه يتوكل، وبه يعتصم، إتهدى بعقله وبنور وحي الله إليه.

إن المؤمن الموحد لا يبذل ما يملكه من قابلية غير محدودة للمحبة إلى نفسه الأمارة بالسوء، إذ لا ينبغي اتخاذها محبوباً ومعشوقاً، إلى درجة العبادة، يقول النورسي محذراً: "ولا تجعل هواها معبودك، بل اجعل محبوبك من هو أهل لمحبة غير متناهية، ذلك القادر على الإحسان إليك إحساناً لا نهاية له، والقادر على إسعادك سعادة لا تنتهي لها، بل يُسعدك كذلك بما يُجزل من إحساناته على جميع من ترتبط معهم بعلاقات".<sup>12</sup>  
إن عقيدة التوحيد تجعل الإنسان عبداً لإله واحد فقط، أما عقيدة الشرك بالله فتجعله عبداً لآلهة متعددة متشاكسة تتنازعه وتمزقه أشلاءً.

(ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) [الزمر: 29].

إن الإنسان الأنموذج المرتكز على التوحيد يوقن بمبدأ توحيد الربوبية لله تعالى، ومبدأ



توحيد الألوهية لله فله تعالى الأمر والنهي والحكم والقضاء، وهو الذي يستحق وحده العبادة، ومن توحيد الألوهية عبادة الله وحده بما أمرنا أن نعبد به، وكل حكم على خلاف حكم الله يمثل استنكافاً عن طاعته في ذلك الحكم، فإذا كان ذلك طاعة لغير الله فهو شرك بالله فيما هو من خصائص الألوهية.<sup>13</sup>

### الوظيفة الفطرية

أساس التخيُّط في حياة الإنسان منذ القدم إنما هو "الجهل" بالوظيفة الفطرية، هذا الجهل يفقد الإنسان البوصلة الموصلة إلى الوجهة الصحيحة، فيتيه الإنسان، ولربما أنساه ذاتيته الحقيقية.

إنَّ الوظيفة الأساس للإنسان هي ؛ الإيمان بالله والدعاء إليه. وإذا كان الإيمان يجعل الإنسان مدركاً حقيقة ذاته وكيانه وأنه السيّد المؤمن الخليفة المصلح، فإن الكفر يجعل الإنسان حيواناً مفترساً في غاية العجز يقول الأستاذ النورسي: إن الإيمان يجعل الإنسان إنساناً حقاً — بل يجعله سلطاناً.<sup>14</sup> هذا الإنسان النموذج المرتكز على التوحيد، له بعد الإيمان وظيفة فطرية مكملة هي "الدعاء"، ذلك أن الإنسان متعرض لما لا يحصى من أنواع البلايا والمصائب لما يحمل من عجز، وله في الوقت ذاته مطالب وحاجات عديدة مع أنه في فقر مدقع لا نهاية له. إنه ألطف أنواع الأحياء وأعجزها وأفقرها، وهو بمنزلة صبي ضعيف لطيف، فلا بدّ له من أن يأوي إلى كنف الرحمن الرحيم، والانطراح بين يديه إما باكياً معبراً عن ضعفه وعجزه، أو داعياً بفقره واحتياجه، وعندئذ يكون قد أدى شكر تلك الإغاثات والتلييات....

### "التعلم"

هذا النموذج المرتكز على التوحيد وظيفته الفطرية منصبّة على التعلّم واكتساب العلم والمعرفة.

ويرى الأستاذ النورسي أن الإنسان إنما جيء به إلى هذا العالم لأجل أمر واحد هو؛ أن يتكامل بالمعرفة والدعاء....

وإن أساس كل العلوم الحقيقية ومعدنها ونورها وروحها "معرفة الله"، كما أن أسس هذا الأساس هو "الإيمان بالله جل وعلا".

ونظرة في كتاب الله تكشف ذلك وتجليه، اقرأ قوله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ). [الذاريات: 56] وقوله (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ

عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَتُبْنُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ). [البقرة : 31] وقوله (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) [الزمر : 9] وقوله (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ). [فاطر : 28]

### الأسماء الحسنى وأثرها على حياة الموحّد

إن حياة الإنسان الأنموذج المرتكز على التوحيد، ليست إلا ترجمة صادقة رائعة للأسماء الحسنى المشهودة والمسموعة، إنّ حياته لتؤدي وظيفة المرأة الخالق للحياة بثلاثة وجوه - كما قال النورسي:

أولها : هي مرآة عاكسة لقدرة خالق الحياة وقوّته وغناه ورحمته.... فعلمت وظيفة العبودية، وتزودت بالسؤال والدعاء والالتجاء.....  
ثانيها : قيام معاني العلم والإرادة والسمع والبصر بوظيفة مرآة عاكسة لصفات كلية محيطية.

ثالثها : بنور الإيمان يعرف الإنسان الموحّد لربه، أنّ الذي خلقه ويُدِّيم حياته هو في منتهى الرحمة واللطف، وفي غاية القدرة والإبداع.<sup>15</sup>

إن السمو للنفس البشرية وتألقها وارتقاءها إنما يكون بالقدر الذي تتعلق به النفس بخالقها وبارئها وبأسماء الله الحسنى، وتبقى النفس متطلّعة الى ربها... لا تكون متبدّلة بتشبيها بالموجودات الفانية، وإنما تتعلق النفس البشرية كي تسمو وترتفع في الارتباط بالله، فانظر إلى اسم الرحمن فحسب كدلالة، لترى أنّ الجنة إحدى تجليات الله، والسعادة الأبدية إحدى لمعات الله، وجميع الأرزاق والنعم المبثوثة في أرجاء الدنيا كافة، إنما هي إحدى قطراته.

فأنعم النظر وتدبر في الآيات الكريمة التي تشير إلى هذه الموازنة بين ماهية أهل الضلالة وأهل الإيمان من حيث الحياة ومن حيث الوظيفة.

### تجليات الاسماء الحسنى :

اجل الكون كله يحكي تجليات أسماء الله وصفاته، فتفيض عليه هذه الأسماء بأعظم النعم وأجلّ المنن، أسماء وصفات لله تعالى تشرق بأنوارها البهية، وتنور بذلك حياة الإنسان الأنموذج المرتكز على التوحيد بهذه الأسماء.

اسم الله العادل يشرق من برج الحكيم.

واسم الرحمن يشرق من برج الكريم .

واسم الرحيم يشرق من برج الغفور .

واسم الباعث يشرق من برج الوارث .  
 واسم المحي يشرق من برج المحسن .  
 واسم الرب يشرق من برج المالك .<sup>16</sup>  
 والأسماء الإلهية تنور عوالم كثيرة ضمن عالم الإنسان الموحد، وتفتح نوافذ من عالم  
 الآخرة المنورة، ونثرت أنواراً ساطعة على دنيا الناس.<sup>17</sup>  
 فما أرقاها وأرفعها حياة الموحد إذا هو تخلّق بانعكاسات الأسماء الحسنى، إذا لصلح  
 وأصلح من حوله، ولكان لنا أن نقول :  
 ان حياة الموحد مرآة لتجلي الأحدية، وجلوة الصمدية، تنعكس عليها تجلي الذات  
 تجلياً جامعاً، وكأن حياة المؤمن نقطة مركزية لجميع أنواع تلك التجليات الإلهية.  
 يقول النورسي : حظي الإنسان بتجليات أسماء الله الحسنى كلها كما تتجلى في  
 الكون كله، وكأنه بؤرة - تُظهر جميع الأسماء الحسنى دفعه - واحدة في مرآة ماهيته  
 فيعلن بذلك الأحدية الإلهية، أي تفرد الله ووحدانيته.<sup>18</sup>  
 وبعد، فليس بمستغرب ولا بعيد عن الفهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم؛  
 (إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة)<sup>19</sup>، إن إحصاءها هو فهمها وتدبرها  
 والعمل بمقتضاها وتطبيقها في النفس والمجتمع.

### لوحة الأسماء الحسنى

لقد وردت أسماء الله الحسنى فيما رواه أبو هريرة قال :  
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن لله تسعة وتسعين اسماً - مائة إلا واحداً -  
 من أحصاها دخل الجنة وفي رواية " لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة وهو وتر يحب  
 الوتر).<sup>20</sup>

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن لله  
 تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة : هو الله الذي لا إله إلا هو، الرحمن،  
 الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق،  
 البارئ، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط،  
 الخافض، الرافع، المعز، المذل، السميع، البصير، الحكيم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم،  
 العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ، المقيت، الحسيب، الجليل، الكريم،  
 الرقيب، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل،  
 القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصي، المبدئ، المعيد، المحيي، المميت، الحي، القيوم،  
 الواحد، الماجد، الواحد، الأحد، الصمد، القادر، المقتر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر،

الظاهر، الباطن، الوالي، المتعالي، البر، التواب، المنتقم، العفو، الرؤوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغني، المغني، المانع، الضار، النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور).<sup>21</sup>

إن الأسماء الحسنى التسعة والتسعين السابقة هي الأسماء الحسنى المشهورة لكن أسماء الله لا تنحصر بها، ودليل ذلك ؛ ما رواه أحمد بسنده عن عبد الله بن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن فقال : اللهم إني عبدك وابن عبدك وأسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وزهاب حزني، وجلاء همي وغمي، إلا أذهب الله همه وحزنه، وأبدله مكانه فرحاً. فقيل يا رسول الله : ألا تتعلمها ؟ فقال : بلى ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها).<sup>22</sup>  
وقوله تعالى : (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ) [الأعراف : 180]. فهذه الآية مطلقة لم تخصص أسماء الله بعدد.

#### نماذج من تأثير الأسماء الحسنى في حياة المؤمن :

فالإنسان الموحد الذي عرف أن الله هو القوي، المتين، القادر، المقتدر، الواحد، العزيز، المقيت، مالك الملك، الوارث، من شأنه أن يرجع في كل شيء إلى قدرته تعالى متوكلاً على الله سبحانه، يهون في نفسه كل أمر جليل، لأنه ينظر الى قدرة قادر عظيم يستمد منه العون، ويعتمد على قدرة الله، في تحقيق ما يرجو من خير وقوة وسعادة. وإن من يلاحظ صفة العلم لله وأسماءه الحسنى التابعة لها وهي الخبير، الشهيد، الحسيب، المحصي، الواحد، السميع، البصير، الرقيب، المهيمن، الواسع، المؤمن، من يحفظ هذه الأسماء حفظ يقين يتحقق لديه أن الله تعالى محيط بكل شيء علماً وإن علمه محيط بالبوطن والدقائق يعلم الأسباب والمسببات، ويعلم العلل والمعلولات، ويعلم السر وأخفى، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها الله، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب، بل ويعلم خلجات القلوب، وخطرات الأنفس، وما هو كائن وما سيكون.

إن الإنسان الموحد المتصل بهذه الأسماء، الموقن بها المتدبر لها، يستطيع أن يحدد منهج سلوكه في حياته :

إنه يعلم أنه مراقب من العليم اللطيف الخبير الشهيد الحسيب... وعليه فهو موقن أن الله لا يضيع عليه ثواب مثقال ذرة من خير، ولا بد أن الله موفيه أجره، لذا فإن الموحد

بربه المراقب له، لا يألو جهداً في عمل الخير والسعي إليه، كذلك لا يستهين الإنسان الموصول بهذه الأسماء بأي عمل من أعمال الشر مهما صغر، لأنه يعلم أن الله به عليم، وله حسيب ورقيب.<sup>23</sup>

ثم إن العبد الموقن الموحد تنعكس هذه الأسماء عليه تواضعاً، حين يتضح له البون الشاسع بين علم الله تعالى، العلم المحيط الواسع، وبين علم المخلوقات، فيتصاغر ويتضاءل ويتجلى له معنى قوله تعالى: (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً).

إن المتدبر لأسمائه الحسنى، الخافض، الرافع، المعز، المذل، المقدم، المؤخر، الجامع، المانع، النافع، الضار، يقف في مقام العبودية التامة لله تعالى، ويخشع أمام قهر الله القاهر فوق عباده (وهو القاهر فوق عباده).

ويلتمس منه جلب كل خير، ودفع كل ضرر، ويرضى بقضائه وقدره، ويعلم أنه الفعّال الحقيقي في كل أمر يحدث، من رفع وخفض، وعز وذل ونفع وضر.... وأن جميع الأفعال التي تباشرها كل المخلوقات إنما هي وسائل وأسباب صورية لا تأثير لها في الحقيقة<sup>24</sup> هي أسباب جعلية أعطاه الله صورة الفاعلية، بينما الفاعل الحقيقي الله عز وجل إذ هو الخالق إلا وجد للأسباب والمسببات<sup>25</sup> والمؤمن الموحد يؤمن بالقدر ويعمل بالأسباب، ويعلم أن الأسباب إنما هي من القدر فلا يتكاسل أو يتخاذل، ولا يحتج بالقدر على تقصير أو معصية.

إن المؤمن الموصول بأسماء الله التي هي: الحكيم، الرشيد، الخالق، البارئ، البديع، المصور، الهادي، المبدئ، المعيد، الباعث، المحي، المميت، الجبار، القهار، القيوم، الحفيظ، المؤمن، المهيم، تبعث فيه هذه الأسماء التبصّر والإمعان في جميع المخلوقات من حوله، مسترشداً بإشارات هذه الأسماء. فدلالة الحكيم، الرشيد تؤخذ من خلال ما في المخلوقات من دقائق الحكمة والرشاد، ودلالة الخالق، البارئ، المصور، البديع، الهادي، تؤخذ من النظر في خلق الكائنات، وتأمل الإبداع والتقدير، والتسوية والتصوير والهداية فيها، يقرأ المؤمن الموحد ذلك في كتاب الكون قراءة تأمل وتفكر وبحث علمي دقيق. إن حفظ هذه الأسماء واليقين بها وفهما ليدفع بالإنسان الأنموذج الفريد لأن يمثل كل معاني الإبداع والتقدير، من دقة وإتقان، وعمل دؤوب خلّاق لاستكشاف الكون بما فيه من أسرار وخفايا ليَعمر بها الأرض.

إن المؤمن الموحد المتأمل في قانون الهداية من الهادي عز وجل يعمد في كل شأن من شؤون حياته دقّ أو عظم، إلى وضع النظام الذي يكفل به إنفاذ الأمر على أحسن وجه وأتمّه.

والمؤمن كذلك يأخذ بمدى أسماء الله؛ الرازق، المقيت، المغني، القابض، الباسط، فيرضى ويسلم ويطمئن على رزقه المكتوب له، ويقنع بما يؤتيه الله من الدنيا فلا يلجأ إلا إليه في طلب الرزق، ولا يسعى إلى جلبه إلا من حيث أمره الله. كما يأخذ المؤمن بمدى أسماء الرحمن، الرحيم، الفتاح، اللطيف، الرؤوف، الودود، ويرى أن من واجبه التخلق بما تدل عليه هذه الأسماء فهو رحيم بخلق الله، ناصر للحق قاصع للظلم، لطيف في معاملاته لخلق الله، رفيق بهم محب لكل من يحب الله، ولكل ما يحبه الله.<sup>26</sup>

### مذاق التوحيد

حياة الإنسان الأنموذج الموحد لله، الذي اعتقد في قرارة نفسه أن ربه واحد في ذاته متفرد في صفاته لا يستحق العبادة إلا هو. حياة هذا الإنسان تنعم بالأمن والاطمئنان والسكينة والسلام والوثام، وما أعذب كلمات ابن القيم في الدلالة على ذلك حين يقول : في القلب شعث لا يلمه إلا الإقبال على الله . وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله. وفيه حزن لا يذهب به إلا السرور بمعرفته، وصدق معاملته. وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه، والفرار إليه . وفيه نيران حشرات لا يطفئها إلا الرضا بأمره ونهيه وقضائه ومعانقته الصبر على ذلك إلى وقت لقائه.

وفيهِ فاقة لا يسيرها إلا محبته والإنابة إليه ودوام ذكره، وصدق الإخلاص له. ولو أعطى الدنيا وما فيها لم تُسد تلك الفاقة أبداً.<sup>27</sup>

نعم، ما أعظم لذة الإيمان، هي اللذة الباقية الصافية النقية، حين يوقن المسلم المؤمن الموحد بأنه مخلوق الله، ربّه بالنعم وأوجده من العدم وحاجته إليه لا تنقطع، وهو الرب الإله الرحيم الرؤوف، هنا يشعر باللذة.

"إن أصفى لذة وأنقى سعادة لحياتي هذه، إنما هو في الإيمان، أي الإيمان الجازم بأي مخلوق من خلقي ورباني، فإني مصنوعه وعبده وتحت رعايته وعنايته ومحتاج إليه، وهو ربي والهي وهو الرحيم والرؤوف بي، فإيماني هذا لذة ما بعدها لذة، لذة كافية وافية دائمة وسعادة خالصة نقية لا يعكرها ألم".<sup>28</sup>

إن القلب الذي يوحد الله تعالى يتذوق الألم والبلاء حلاوة ولذة، يفسر البلاء اختباراً لا بد من النجاح فيه أو هو عقوبة تكفر عنه ذنباً أو تخط خطيئة. يرضى بقدر الله فلا يجزع إن مسه الشر، ولا يمنع إن مسه الخير، ولا يندم على ما فات لأنه يعلم أن ما أصابه

لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له).<sup>29</sup>

### الطمأنينة وسلام النفس

المؤمن يعيش موصولاً بالوجود كله، يحيا في أنس به، وشعور عميق بالتناسق معه والإرتباط به....

إنّ الكون الكبير كله يخضع لنواميس الله كما يخضع المؤمن، ويسبح بحمد الله كما يسبح المؤمن.

ان الإنسان المؤمن الموحد يعيش في سعة من نفسه وقلبه، فطبيعة الإيمان توسع النفس والقلب والحياة لأنه يصل صاحبه بالوجود كله، فيتسع القلب، وينفسح وينشرح بنور الإيمان واليقين، (فمن يُرد الله أن يهديه يشرح صدره للإيمان، ومن يُرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً).

وبالتوحيد يَسَلِّم المؤمن من الشك والاضطراب، ويحل الغاز الوجود الكبيرة: المبدأ والمصير، الغاية والمهمة، ويعرف أن له رباً، خلقه وصوره وسواه وكرمه وجعله خليفة في الأرض وكفل له رزقه وسخر له كونه، ويعرف أنه لم يخلق في هذه الحياة عبثاً ولم يترك سدى....

وبالإيمان يرتفع الإنسان في تصوره، ويملك القيمة العالية، وبالتفسير الصحيح للكون المنبعث من الإيمان يسلم الإنسان من التنازع التي تتنازع، ويحفظ ماهيته الإنسانية، وما أجمل كلمات الأستاذ الثورسي في بيانه الأثر الذي يُحدثه الإيمان في الإنسان فتجعل منه الكائن الأهل للخطاب الرباني، فتأمل كلماته: -

يقول " إن الإنسان يسمو بنور الإيمان إلى أعلى عليين فيكتسب بذلك قيمة تجعله لائقاً بالجنة، بينما يتردى بظلمة الكفر أسفل سافلين، فيكون في وضع يؤهله لنار جهنم ذلك لأن الإيمان يربط الإنسان بصانعه الجليل، ويربطه بوثق شديد ونسبة إليه، فالإيمان إنما هو انتساب، لذا يكتسب الإنسان بالإيمان قيمة سامية من حيث تجلّي الصنعة الإلهية فيه، وظهور آيات نقوش الأسماء الربانية على صفحة وجوده.

أما الكفر فيقطع تلك النسبة وذلك الانتساب، وتغشى ظلمته الصنعة الربانية وتطمس على معالمها، فتتقص قيمة الإنسان حين ينحصر في مادته فحسب وقيمة المادة لا يعتد بها، فهي في حكم المعدوم لكونها فانية زائلة، وحياتها حياة حيوانية مؤقتة ..

ويسترسل الأستاذ النورسي مبيناً أن الإنسان بإيمانه يظهر جميع تجليات الأسماء الحسنى فيقول :

" وهكذا الإنسان فهو الصنعة الخارقة للخالق الصانع سبحانه، وهو أرقى معجزة من معجزات قدرته وألطفها، حيث خلّقه الباري مظهراً لجميع تجليات أسمائه الحسنى، وجعله مداراً لجميع نقوشه البديعة جلّت عظمته، وصيّره مثلاً مصغراً ونموذجاً للكائنات بأسرها.

فإذا استقر نور الإيمان في هذا الإنسان ليّن - ذلك النور - جميع ما على الإنسان من نقوش حكيمة، بل يستقرئها للآخرين، فيقرأها المؤمن بتفكير ويشعر بها في نفسه شعوراً كاملاً، ويجعل الآخرين يطالعونها ويتملّونها أي، كأنه يقول: ها أنا ذا مصنع الصانع الجليل ومخلوقه، أنظر كيف تتجلى في رحمته وكرمه "وبما شأبها من المعاني الواسعة تتجلى الصنعة الربانية في الإنسان". ثم إن الإنسان أهل للخطاب الإلهي يقول :

" إذن الإيمان الذي هو عبارة عن الانتساب إلى الصانع سبحانه - يقوم بإظهار جميع آثار الصنعة الكامنة في الإنسان، فتتبعين بذلك قيمة الإنسان على مدى بروز تلك الصنعة الربانية، فيتحول هذا الإنسان إلى مرتبة أسمى المخلوقات قاطبة حيث يصبح أهلاً للخطاب الإلهي، وينال شرفاً يؤهله للضيافة الربانية في الجنة"<sup>30</sup> أما الكفر فإن انعكاسه خطير مدمر للإنسان، مدمر لهذه الصنعة العظيمة، يقول النورسي:

" أما إذا تسلل الكفر الذي هو عبارة عن قطع الانتساب إلى الله - في الإنسان، فعندئذ تسقط جميع معاني نقوش الأسماء الحسنى الإلهية الحكيمة في الظلام، وتُمحى نهائياً، ويتعذر مطالعتها وقراءتها، ذلك لأنه لا يمكن أن تفهم الجهات المعنوية المتوجهة فيه إلى الصانع الجليل بنسيان الصانع سبحانه، بل تنقلب على عقبيها ". وفلسفة ذلك يبينها لنا الأستاذ النورسي قائلاً :

" غاية المادة وثمرتها هي قضاء حياة قصيرة جزئية يعيشها صاحبها وهو أعجز المخلوقات وأحوجها وأشقاها، ومن ثم يتفسخ في النهاية ويزول.. وهكذا يهدم الكفر الماهية الإنسانية ويحيلها من جوهره نفسية إلى فحمة خسيسة"<sup>31</sup> ، ويبين الأستاذ في النهاية أن الهداية نور يبدد كل ظلمة فيقول :

" فالإنسان الذي يعتمد على أنانيته وغروره ويقع في شرك ظلمات الغفلة ويتلى بأغلال الضلالة القاتلة، حيث يرى الزمن الماضي بنور المصباح الناقص الذي هو معرف



ناقصة منحرفة للضلالة، كمقبرة عظيمة في ظلمات العدم، ويصور الزمن من المستقبل موحشاً تعبث فيه الدواهي والخطوب محيلاً إياه إلى الصدفه العمياء، (والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات) [البقرة : 257] أما إذا أغاثت الإنسان الهداية الالهية، ووجد الايمان إلى قلبه سبيلاً، وانكسرت فرعونية النفس وتحطمت، وأصغى إلى كتاب الله... حينها تمتلئ الكائنات بالنور الإلهي وينطق العالم برّمته (الله نور السماوات والأرض... الآية).

ثم يقول :

... " الحوادث التي تبدو حزينة سَمجة ما هي في الحقيقة والمعنى إلا مدار الحكم اللطيفة حتى يرى الموت مقدمة لحياة أبدية، ويُرى القبرُ باب سعادة خالدة وقس على هذا المنوال سائر الجهات بتطبيق الحقيقة على المثال".<sup>32</sup>

#### ثمرة التوكل من أعظم ثمار التوحيد

القلب الذي يوحد الله يدرك القرابة بينه وبين كل ما أبدعت يدُ الله في هذا الكون من أشياء وأحياء، ويحيا في كون صديق يتجاوب معه، ويحس يد الله في كل ما حوله، فيعيش في أنس الله وبدائعه التي تلمسه يداه وتقع عليها عيناه. وتبدو آثار التوحيد في التصورات والمشاعر كما تبدو في السلوك والتصرفات وترسم للحياة كلها منهاجاً كاملاً واضحاً مميزاً.

ومن أعظم آثار التوحيد "التوكل" وما يحدثه في حياة هذا الإنسان الأُمُوزج من أثر ويبين الأستاذ النُورسي هذا الأثر العظيم فيقول.

" الإنسان الذي يظفر بالإيمان الحقيقي "التوحيد" يستطيع أن يتحدى الكائنات، ويتخلص من صنف الحوادث، مستنداً إلى قوة إيمانه، فيبحر متفرجاً على سفينة الحياة في خضم أمواج الأحداث العاتية، بكمال الأمانة والسلام قائلاً : توكلت على الله، ويُسلّم أعباءه الثقيلة أمانةً إلى يد القدرة للقدير المطلق، ويقطع بذلك سبيل الدنيا، مطمئن البال في سهولة وراحة، حتى يصل الى البرزخ ويستريح، ومن ثم يستطيع أن يرتفع طائراً إلى الجنة للدخول إلى السعادة الأبدية.

أما إذا ترك الإنسان التوكل فلا يستطيع التحليق والطيران الى الجنة فحسب بل ستجذبه تلك الأثقال إلى أسفل سافلين.

فالإيمان إذن يقتضي التوحيد، والتوحيد يقود إلى التسليم، والتسليم يحقق التوكل، والتوكل يسهل الطريق إلى سعادة الدارين.

ولا تظنن أن التوكل هو رفض الأسباب وردّها كلياً، وإنما هو عبارة عن العلم بأن الأسباب هي حُجُب بيد القدرة الإلهية ينبغي رعايتها ومدارقتها، أما التشبث بها أو الأخذ بها فهو نوع من الدعاء الفعلي فطلب المسببات أذن وترقب النتائج لا يكون إلا من الحق سبحانه.

إن مثّل التوكل على الله وغير التوكل كمثّل رجلين قاما بحمل أعباء ثقيلة حُمِلت على رأسهما وعاتقهما فقطعا التذاكر وصعدا سفينة عظيمة فوضع أحدهما ما على كاهله حالماً دخل السفينة أما الآخر فلم يفعل مثله لحماقته وغروره... ".  
أجل. ذلك الرجل الذي وضع أمتعته وثق بالسفينة واطمأن وأمن ربانها أما هذا الرجل فما وثق ولا اطمأن ولا أحسن الظن بل لعل من يراه يظن به مساً من الجنون. فيا أيها الإنسان البعيد عن التوكل.

ارجع إلى صوابك وعد إلى رشدك كهذا الرجل، وتوكل على الله لتتخلص من الحاجة والتسوّل من الكائنات، ولتنجو من الارتعاد والهلع أمام الحادثات، ولتنقذ نفسك من الرياء والاستهزاء ومن الشقاء الأبدي ومن أغلال مضايقات الدنيا".<sup>33</sup>.

إن الإيمان يدّوي ضعف الإنسان وعجزه وفقره واحتياجه بالتوكل على القدير الرحيم، مسلماً أثقال الحياة وأعباء الوجود إلى قدرته سبحانه، وإلى رحمته الواسعة دون أن يحملها على كاهل الإنسان، بل يجعله مالكاً لزمان نفسه وحياته، واجداً له بذلك مقاماً مريحاً، ويعرفه أنه ليس بحيوان ناطق، بل هو إنسان بحق وضيف عزيز عند الملك الرحمن.<sup>34</sup> وها هو النورسي يوجه نداء للإنسان :

أيها الإنسان :

أنت لست مالكاً لنفسك بل أنت مملوك للقادر المطلق القدرة والرحيم المطلق الرحمة، فلا ترهق نفسك بتحميلها مشقة حياتك، فان الذي وهب الحياة هو الذي يديرها.  
ثم إن الدنيا ليست سائبة دون مالك، كي تقلق عليها وتكلف نفسك حمل أعبائها وترهق فكرك في أحوالها، ذلك لأن مالكها حكيم ومولاه عليم، وأنت لست إلا ضعيفاً لديه، فلا تتدخل بفضول في الأمور ولا تخلطها من غير فهم.

ثم إن زمان أولئك الذين اتخذوا طور العداء معك ابتداءً من الكروبوات إلى الطاعون والطوفان والقحط والزلازل، بل زمام كل شيء بيد ذلك الرحيم الكريم سبحانه فهو الحكيم لا يصدر منه عبث، وهو رحيم واسع الرحمة، فكل ما يعمل فيه أثر من لطف ورأفة.<sup>35</sup>

إن الإيمان يستدعي التوكل، وأن يفوض العبد أمره كله لله تعالى، مُستيقناً قدرة الله على قضاء الأمور مع بذل الأسباب والتخلي عن التعلق بها، وإنما التعلق برب الأسباب وموحدتها.

إن التوكل فرض وهو شرط في الإيمان (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) [إبراهيم: 11]  
وقال الله تعالى على لسان موسى (يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مؤمنين). [يونس: 84].

### قوة الموحّد:

إن القلب الذي يوحد الله، يدين الله وحده، ولا يحني هامته لأحد سواه، ولا يطلب شيئاً من غيره، ولا يعتمد على أحد من خلقه، فالله وحده هو القوي عنده، والعباد كلهم ضعاف مهازيل، لا يملكون نفعاً ولا ضراً... والله وحده هو المانع المانع فلا حاجة به إلى أن يتوجه لأحد غيره وهو الغني والخلق كلهم فقراء.<sup>36</sup>

### أهمية التوحيد وأثره

التوحيد في الإسلام هو كل الإسلام، والقرآن كله يدور حول التوحيد، فأيات القرآن إما إخبار عن الله وصفاته وخلقه وأفعاله وتدييره، وإما أمر ونهي وهي من لوازم ربوبيته وقيوميته على خلقه، وإما بيان للثواب بأنواعه وهو جزاء من أطاعه واتبع رسله الذين أرسلهم بشريعته القائمة على توحيده في الألوهية والربوبية، وأما بيان للعقاب بأنواعه وأما إخبار عن أحوال المكذبين الماضين، وهو بيان لمن خرج عن مقتضى توحيده.

فالتوحيد هو لب الإسلام، وأساسه ومنه تثبت سائر نظمه وأحكامه وأوامره ومناهجه وكل ما فيه عبادات وأحكام يرسخه ويقويه ويثبت في قلوب المؤمنين.<sup>37</sup>

وكم للتوحيد من أثر في مسيرة المؤمن إنه مجموع الطاقة، ثابت القدم، واثق الخطى.  
إن القلب المؤمن بحقيقة التوحيد هو القلب الذي يقطع الرحلة على هذه الأرض على هدى، لأن بصره أبداً معلق بنجم واحد على الأفق، فلا يلتوي به الطريق ولأنه يعرف مصدراً واحداً للحياة والقوة والرزق، ومصدراً واحداً للنفع والضرر ومصدراً واحداً للمنع والمنع، فتستقيم خطاه إلى هذا المصدر الواحد يستمد منه وحده، ويعلق يديه بجبل واحد يشد عروته، ويطمئن اتجاهه إلى هدف واحد لا يزوغ عنه بصره، ويخدم سيّداً واحداً يعرف ماذا يرضيه فيفعله وماذا يغضبه فيتقيّه. وبذلك تتجمع طاقته كذلك وتتوحد، فينتج بكل طاقته وجهده وهو ثابت القدمين على الأرض متطلع إلى اله واحد في السماء.<sup>38</sup>

### استغراق التوحيد للحياة كلها

إن توحيد الله وإخلاص الدين له يعدّ منهج حياة متكامل، يبدأ من تصور وإعتقاد في الضمير، وينتهي إلى نظام يشمل حياة الفرد والجماعة، بل يجسّد كل علاقة مع كائنات الله تعالى.

إن التوحيد في هذه الصورة عقيدة للضمير وتفسير للوجود ومنهج للحياة، وليس كلمة تقال باللسان أو حتى صورة تستقر في الضمير، إنما هو الأمر كله والدين كله، وما بعده من تفصيلات إنما هو ثمرة طبيعية لاستقرار هذه الحقيقة في القلوب.<sup>39</sup>

إن عبودية الإنسان لله تعالى تتكون من جانبين : واقع حتمي يخضع له وينطبع به الناس جميعاً، وسلوك اختياري يمتاز به الذين عرفوا الله فأمنوا به وخضعوا لسلطانه وتعاليمه، والمطلوب من الإنسان أن يجعل سلوكه الاختياري منسجماً مع واقعه الاضطرابي، يسير في حياته سيرة العبيد لا سيرة الجبابرة<sup>40</sup>، إنه سلوك المؤمن الموحد الأنموذج المرتكز على التوحيد.

### التحرر الكامل :

العبودية لله وحده والإيمان به وحده تعني التحرر من التبعية لكل من سواه وما سواه، فلا خضوع لمخلوق في الأرض أو في السماء .

والعبودية لله وحده تعني الانقياد لحكمه سبحانه مع رضا النفس وتسليم القلب دون أدنى حرج أو ارتياب... لثقتّه بتدبير الله وبرحمته. والموحد هو الذي عرف للعبودية حقها... لم يرض غير الله رباً ولم يتبع غير الله حكماً...<sup>41</sup>

(قل إنني هادي ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين، قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين، قل أغير الله ابغي رباً وهو رب كل شيء) [الأنعام : 162]

وبسر التوحيد تبدى جملة من الحقائق الخافية في حياة الإنسان الأنموذج. إن الأستاذ النورسي يظهر لنا بدقة ما يُحدثه التوحيد في الإنسان حتى يشكل محوراً للكمالات الإنسانية بحق.

ويظهر سرّ التوحيد في تميّز الإنسان حين يُكسبه كمالاً لا يجاريه فيه أحد من الكائنات.

كما يظهر بتحقيق رغبة الإنسان في خلود لا نهاية له في الآخرة. ومن خلال استثماره العقل في كشف الكنوز وحل الرموز....

نعم. سر التوحيد يبدو في كل ناحية من نواحي حياة المؤمن، في فكره وشعوره.. حتى في نظرته إلى الموت.  
وها أنا أورد فصلاً نفيساً حرّره التورسي :

### أثر سر التوحيد على حياة الإنسان وحركته سر التوحيد والكمال العظيم :

" إن الإنسان بسرّ التوحيد صاحب كمال عظيم بين جميع المخلوقات وهو أئمن ثمرات الكون، وألطف المخلوقات وأكملها، وأسعد ذوي الحياة، ومخاطبُ رب العالمين، وأهل ليكون خليله ومحبوبه حتى إن جميع المزايا الإنسانية وجميع مقاصد الإنسان العليا مرتبطة بالتوحيد وتتحقق بسر التوحيد.

فلولا التوحيد لأصبح الإنسان أشقى المخلوقات وأدنى الموجودات وأضعف الحيوانات وأشدّ ذوي المشاعر حزناً وأكثرهم عذاباً وألماً، ذلك لأن الإنسان يحمل عجزاً غير متناه، وله أعداء لا نهاية لهم، وينطوي على فقر دائم لا حدود له وحاجات لا حدود لها، ومع هذا فإن ماهيته مجهزة بالآلات ومشاعر متنوعة وكثيرة إلى درجة يستطيع أن يستشعر بها مائة ألف نوع من الآلام وينشد مئات الآلاف من أنواع اللذائذ، فضلاً عن أن له من المقاصد والرغبات ما لا يمكن تليبيتها إلا من قبل من ينفذ حكمه في الكون بأسره.<sup>42</sup>

### سر التوحيد ورغبة البقاء :

فمثلاً في الإنسان رغبة ملحة شديدة للبقاء، فلا يحقق له هذه الرغبة إلا من يتصرف في الكون كله بسهولة مطلقة يفتح باب دار الآخرة بعد أن يسد باب دار الدنيا كفتح باب منزل وغلق آخر.. وكذا فإن جميع أجهزة الإنسان ومشاعره تأخذ مكانة رفيعة بسر التوحيد في حين تسقط إلى هاوية سحيقة بالكفر والشرك.

### العقل وسر التوحيد :

العقل الذي هو أفضل أجهزة الإنسان وأرقاها إن أستعمل بسر التوحيد فإنه يصبح مفتاحاً ثميناً بحيث يفتح الكنوز الإلهية السامية، وألوفاً من خزائن الكون بينما، إذا تحبط ذلك العقل في وحل الضلالة والكفر فإنه آلة تعذيب ووسيلة إزعاج بما يجمع من آلام الماضي الحزينة ومخاوف المستقبل الرهيبة.

### الشفقة وسر التوحيد :

الشفقة والحنان وهي ألطف سجية من سجايا الإنسان وأحلاها إن لم يسعفها سر التوحيد تتحول إلى ألم الحرقه وعذاب الفراق وجرح العطف، فتتحول إلى مصيبة كبرى تُدوي بالإنسان إلى درك الشقاء، نعم، إن الوالدة الغافلة عن الله والفاقة لوحيدها إلى الأبد تستشعر هذه الحرقه شعوراً كاملاً.<sup>43</sup>

### سر التوحيد والحبّة :

ومثلاً : الحبّة التي هي ألد شعور في الإنسان وأطيبه وأسماءه، إذا ما أعانها سر التوحيد يجعل الإنسان الصغير واسعاً سعة الكون وعظيماً وكبيراً كبره حتى يجعله سلطاناً محبوباً على المخلوقات كافة.

بينما الحبّة نفسها إذا ما تردت إلى الشرك والكفر والعياذ بالله، فإنها تنقلب إلى مصيبة عظيمة بحيث تمزق قلب الإنسان الضعيف كل حين وآن بفراق أحبته غير المعدودين فراقاً أبدياً يحوهم الزوال والفناء دائماً..

فإذا ما قسمت مئات أجهزة الإنسان ومشاعره على هذه الأمثلة الثلاثة تدرك عندئذ إلى أي مدى يكون التوحيد محوراً للكمالات الإنسانية.<sup>44</sup>

### سر التوحيد والموت :

حتى نظرة الإنسان - النموذج القائم على التوحيد والإيمان - للموت تأخذ طابع التجديد واستكمال المسيرة.. نحو نهاية خالدة، يقول النورسي :

" فرأيت كأن الأشياء المضرة التي لا تحد تنقض عليّ إنقضاضاً فأغاثتني سر التوحيد من حالتي التي كنت فيها، ورفع الستار من أمام بصيرتي وأراني حقيقة هذه الجهات، فنظرت إلى وجه الموت المخيف، ورأيت أن الموت لأهل الإيمان تسريح من الوظيفة والأجل هو بطاقته.

فالموت إذن تبديل مكان، ومقدمة لحياة باقية، وباب إليها، وهو إنطلاق من سجن الدنيا إلى بساتين الآخرة، وهو إنتظار زمن طويل إلى ديوان الرحمن لإستلام أجرة العمل، وهو دعوة إلى دار السعادة، ولما فهمت حقيقة الموت أحبته.

ثم نظرت إلى الزوال والفناء ورأيت أن زوال الأشياء إنما هو تجديد لها ولأمثالها فهو تجديد ممتع ملذ.

لذا علمت يقيناً أن زوال الأشياء وفناءها إنما هو تجديد للتجليات الجميلة للأسماء الحسنی وهو مظاهر حكيمة لمجال الربوبية "

نعم. الموت إنتقال من حياة الى حياة، إنطلاق من قفص الجسد، إن الله لا يسلب نعمة إلا وهو يعطي نعمة أكبر منها. قال يحيى بن معاذ : لا يكره الموت إلا مريب، فهو الذي يقرب الحبيب من الحبيب.

إذن بسر التوحيد تتحقق النورانية لكل الجهات يقول النورسي :  
" ثم نظرت إلى الجهات الست ورأيت أنها نورانية بسر التوحيد، بل نورانية إلى حد يكاد سنا نورها يخطف بالأبصار...".<sup>45</sup>

### التجدد الدائم

الإنسان الأنموذج المرتكز على التوحيد لا يصيبه سأم ولا ملل هو بحاجة الى التجدد والتجديد، عالمه متجدد دائماً ومن ثم فلا بد له من تجديد إيمانه :  
إن الإنسان مثلما يتعدّد ويتجدّد فإن العالم الذي يسكنه سيّار لا يبقى على حال فهو في تنوع.

الإيمان نور لحياة كل فرد من أفراد ذلك الشخص من جهة، كما أنه ضياء للعوالم التي يدخلها، وما لا اله إلا الله إلا مفتاح يفتح ذلك النور، ثم إن الإنسان تتحكم فيه النفس والهوى والوهم والشياطين..

لذا فهناك حاجة الى تجديد الإيمان في كل وقت.<sup>46</sup>

إن مثل الإنسان الأنموذج هذا مثل من تعلّق بجسده أدران وأوساخ فيعتاد غسلها والتنظيف منها، بالانغماس مراراً كل يوم في نهر عذب جار، أو كمثال من يتّحتم عليه المضي دوماً في نفق مظلم فهو بحاجة الى النور الدائم الذي يغذّي دائماً ويزداد سطوعاً كلما شحنه بشحنات كهربائية عالية كيما يبدّد ما في النفق من ظلمات.

وئمة فرق شاسع بين ظلمات الضلال ونور الإيمان، بين الأعمى المتخبط بعماه في الظلمة، والبصير المهتدي الى هدفه وما يصبوا إليه القلب المؤمن بحقيقة التوحيد.

### الموحد راض وقويّ

إن المؤمن الموحد راض عن نفسه وعن وجوده، فله أهميته ومكانته، وراض عن ربه لأنه آمن بكماله وجماله، وعدله ورحمته....

فما به من نعمة فمن الله، وما أصابه من حسنة فمن الله، وما أصابه من سيئة فمن نفسه يردد دائماً الثناء على الله تعالى.

(الذي خلقتني فهو يهدين، والذي هو يطعمني ويسقيني، وإذا مرضت فهو يشفين، والذي يميتني ثم يحيين، والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) [الشعراء: 78-82].

ويوقن أن تدبير الله أفضل من تدبيره لنفسه، ورحمته تعالى به أعظم من رحمة أبيه به.<sup>47</sup>

إن الموحد صحيح القلب قوي يستمد قوته باتصاله بمصدر القوة والرحمة والاقتدار، وتأمل كلمات النورسي في ذلك حين يقول للمؤمن :  
" إن كانت إرادتك وإختيارك جزئية، ففوض أمرك لإرادة مولاك الكلية، وإن كان إقتدارك ضعيفاً فاعتمد قدرة القادر المطلق، وإن كانت حياتك فانية وقصيرة ففكر بالحياة الباقية الأبدية....

وإن كان فكرك خافتاً فادخل تحت نور شمس القرآن وانظر بنور الإيمان كي تمنحك كل آية من الآيات القرآنية نوراً كالنجوم المتألقة الساطعة بدلاً من ضوء فكرك الباهت، وإن كانت آمال وألام غير محدودة فإن ثواباً لا نهاية له ورحمة لا حد لها ينتظرانك، وإن كانت لك غايات ومقاصد لا تحد فلا تقلق متفكراً بما فهي لا تُحصر في هذه الدنيا، بل مواضعها ديار أخرى ومانحها جواد كريم".<sup>48</sup>

#### معية الله والأمن للموحد

المؤمن لا يعتره مرض الشعور بالوحدة المقلقة، هذا المرض الذي يقول الأطباء إنه من أهم العوامل الأساسية للاضطرابات العقلية، إن اعتقاد الموحد بمعية الله تعالى له يقضي على هذا المرض حين يقرأ الحديث القدسي :  
(أنا عند ظن عبدي وأنا معه إذا ذكرني).

وقوله تعالى : (فلا تمنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم). [محمد: 35]

إن شعور الموحد بمعية الله وصحبته دائماً، تجعله في أنس دائم بربه ونعيم موصول بقربه.<sup>49</sup>

إن الموحد يتحرر من سيطرة الآخرين لعلمه أن الله تعالى معه، ومن كان الله معه فلا يهون ولا يحزن ولا يضعف، هذه العقيدة تغرس قناعات أكيدة في أن النافع والضار والحي والميت هو الله تعالى، وبهذا يتحرر الإنسان من الخرافات والأوهام، وتمنعه عن كل ما فيه استعانة بغير الله ولجوء إلى سواه، وتدبر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس :

"إحفظ الله يحفظك، إحفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله وإذا إستعنت فاستعن بالله...".



والمؤمن الموحد لا يعرف الخوف هو آمن بكل معاني الأمن بمقتضى وعد الله تعالى له حين قال (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) [الإنعام : 82].

آمنٌ في الآخرة من المصير المظلم، وآمنٌ في الدنيا من الضلال فهو على هدى من ربه، وآمنٌ من الموت لأنه يعلم حقيقة الموت وأنه النقلة إلى دار الخلود، وآمنٌ على رزقه فالأرزاق في ضمان الله الذي لا يُخلف وعده ولا يضيع عبده (إن الله هو الرازق ذو القوة المتين) [الذاريات : 58] (وفي السماء رزقكم وما توعدون) ... [الذاريات : 22] والموحد آمن على أجله لأن خالقه ضرب له أجلاً لا يتقدم ولا يتأخر، ولا تملك قوة في الأرض أن تُنقص منه دقيقة. (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون). [الأعراف : 34]. إن هذا الأمن على الرزق والأجل منح المؤمن السكينة والطمأنينة كما منحه القوة في مواجهة الحياة بما فيها من طغيان وجبروت.<sup>50</sup>

#### الارتفاع لا السقوط

إن الموحد يخلق في أفق الإيمان، يرتفع به إيمانه وعمله الصالح إلى أعلا عليين ويبين له الدلائل القاطعة ويسقط أمامه البراهين الدامغة، ويردم الأغوار العميقة بمراتب رقي معنوي وبأجهزة تكامل روحي.<sup>51</sup>

انه بذلك يملك القاعدة الإيمانية الراسخة، قاعدة التوحيد، ويملك المستقر الآمن يشوب إليه، ويمسك بالعروة الوثقى التي تنجيه من المهالك والفتن، وهذا عكس المشرك الذي لا يملك شيئاً من ذلك، وما أعظم وأصدق دلالة القرآن على ذلك، حين يقول الله تعالى في حق المشرك (ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق). [الحج : 31].

أنه مشهد الهوى من شاهق، هي صورة صادقة لحال من يشرك بالله فيهوي من أفق الإيمان السامق، إلى حيث الفناء والانطواء، فيفقد كل ما من شأنه أن يؤمنه فتخطفه الأهواء تخطف الجوارح وتتقاذفه الأوهام تقاذف الرياح.<sup>52</sup>

#### الإنسان الأ نموذج

##### والرؤية للعقل والوحي

إن الإيمان بوجود إله واحد متفرد قوي مبدع صانع للكون كله متصف بصفات الجلال والجمال والكمال قرار منطقي ينسجم مع قواعد العقل الثابتة الصحيحة، ليس مطلوباً من المؤمن الموحد أن يتجاهل عقله أو فطرته، فالعقل يدفع باتجاه الاعتقاد بالوحدانية، ونداء الفطرة يصرخ عالياً "يا الله".

لكن هذه القناعة العقلية والاستجابة الفطرية تبقى بحاجة إلى العون، لأن الإنسان عقله وتصوره يوصف بالمحدودية فأين له التجاوز؟ إنه ضعيف في حاجة إلى العون، ولا بدّ للعقل من أن يستعين بطاقة إضافية، بنور آخر يتمثل في "الوحي" الخبر الوارد عن الله تعالى الذي يجيب عن كثير من التساؤلات، ويفتح المغاليق، وينظم للإنسان جوانب الحياة العملية.

إن القضايا الغيبية تحتاج في معرفتها وفهمها إلى سند آخر مع العقل والحس، هذا السند أو المصدر هو الخبر الصادق، وليس إختيار هذا المصدر بمعزل عن العقل بل العقل هو الذي يختار ذلك ويؤكد عليه .

إن الذي يتساءل عن البلدة التي سيتوجه إليها القطار الذي يركبه، وعن المحطة الأخيرة التي تنتهي عندها رحلته لا بد أن يتوجه بتساؤله إلى القائد الذي يسوق القطار. والمؤمن الموحد يوقن أن قطار هذه الحياة، لا ينطلق بشكل عشوائي، وإنما هو رهن بقياده فاطر عليم حكيم.<sup>53</sup>

فما دام العقل أوصل الإنسان إلى اليقين بصدق الخبر، فإن مقتضى ذلك، التسليم بالهدي الذي حمله الخبر الصادق.

وهذا المنهج والنظام الذي حمله الوحي للإنسان، إنما هو النظام الصالح المصلح الشامل الكامل هو نور هاد للإنسان، بعد أن يصل به العقل إلى حدّ معين

(قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من أتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم). [المائدة : 15-16]

(فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى، ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى). [طه : 123]

إن الإنسان الأنموذج المرتكز على التوحيد، المهتدي بنور الوحي، يولي العقل أعلا درجات العناية في الفهم والدراية لنصوص الوحي، هذا العقل الذي شهد من قبل بأهمية برهان الوحي وحكم بصدقه.

إن العقل الإنساني هو مرآة وجود الله<sup>54</sup> ووحدانيتها، ولا بد لهذه المرآة أن تبقى صافية، ليشرق عليها باستمرار هذا الوجود الرباني، وينعم بسر الوحداية بما لها من آثار ونعم تغمر الإنسان الموكل إليه أداء مهمة جليلة عظيمة هي العبودية لخالق الكون كله، (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون).

## البديل

ما أجدر البشرية اليوم وهي تعاني الشقاء والويلات على الرغم مما حققته من مكاسب مادية وقفزات حضارية - ما أجدرها وهي تبحث عن السعادة المفقودة لدى الإنسان المتحضر المرفه - أن تنظر في النموذج الفريد في الإنسان المؤمن الموحد. الإنسان الذي بإيمانه يستجلب السعادة الأبدية يحقق سلام النفس، يغمم ويسلم، ينجح وينجو ويفلح .

" إن الإيمان هو أعظم رأس مال الإنسان، إذ لا يملكه مزرعةً فانية... بل يملكه الكون العظيم، ويجعله لائقاً ليظفر بملك واسع باقٍ أوسع من الدنيا ". " إن مفعول الإيمان لا يقتصر على عمارة الدنيا بأحسن ما تكون العمارة، بل يتخطى ذلك حين يوجد للإنسان حياةً أبديةً خالدةً، فينقذه من النهاية المرعبة، والإعدام الأبدى فاتحاً له خزائن السعادة السرمدية".<sup>55</sup>

ومتى أستقر هذا التصور في القلب وملك عليه الوجدان، فإنه يسعى في تنفيذ الأوامر الربانية المتمثلة في "الهدى النوراني" في كافة جوانب الحياة العملية، عندها فقط يكون النموذج المرتكز على التوحيد هو مصدر السعادة وهو القمين بالقيادة وتولي مهام الخلافة بحق.

## الخاتمة

وبعد،

فإن الإنسان الذي ينطلق من الإقرار بكلمة التوحيد، والالتزام بمقتضاياتها حتى تغدو "لا إله إلا الله محمد رسول الله" منهجاً لحياته وسلوكه، وهذا الإنسان هو النموذج الفريد لحياته صورة فريدة، وحقيقة فريدة، وسعادة كاملة فريدة ؛ صورة حياته كلمة حكيمة مكتوبة بقلم القدرة الإلهية، يوقن بسرّ النفخة الروحية فيه، ويعمل جاهداً للعمل بمتطلبات هذه النفخة من ارتفاع وعلو وتحليق وسمو.

لقد حدّد النورسي غايات حياة الإنسان المؤمن تحديداً جلياً وبيّن أن السعي لبلوغ هذه الغايات يجعل الإنسان النموذج الفريد لتجليات أسماء الله وصفاته، بل يجعله مجمع النور الرباني.

إن الإنسان المؤمن بانطلاقة من التوحيد الحق يحقق الحياة الخالدة، وينعم بسعادة الدنيا إذا أحسن استخدام ما سلّحه الله به من أجهزة المعرفة وسبل الهداية. إن وظيفة الإنسان المؤمن، إنما هي المعرفة بالله واللجوء إليه واللواذ به، والاستزادة من العلم بأسمائه وصفاته.

إن حياة الإنسان الأتمودج الموحد هي ترجمة صادقة رائعة للأسماء الحسنى المشهودة والمسموعة، وإن سعادة المؤمن تتحقق بتمامها وكما لها حين يُحسن فهم الأسماء الحسنى ويدركها ويقيم سلوكه وفقها.

إن القلب المؤمن الموحد ليشعر بمذاق خاص للأمور لا يتذوقه غير المؤمن. المؤمن الموصول بالله يسلم من الاضطراب والتنازع وهو أهل للخطاب الإلهي. أعطى النورسي مفهوماً واضحاً للتوكل وبين تأثيره على سلوك الموحد من حيث تحديه للكائنات كلها بإسناده إلى التوكل.

أظهر النورسي "سرّ التوحيد"، وبرهن على أن التوحيد محوراً للكمالات الإنسانية. إن الإنسان المؤمن راضٍ كل الرضى، لأنه يفوض أمره إلى الله تعالى قوي لأنه يستمد قوته من التوحيد، يأنس بمعية الله ويوقن بنصره وتأيدته. إن تحقيق "السلام" بمفهومه الحقيقي في النفوس والواقع والمجتمعات، مرهون بهذا الإنسان الأتمودج المرتكز على التوحيد المؤمن على أمن البشرية كلها.

#### الهوامش:

- 1 المصباح المنير (30/1-31) القاموس المحيط (205/2) ، لسان العرب (12/6).
- 2 عبد العزيز ، أمير ، حقوق الإنسان في الإسلام (17) .
- 3 النورسي ، بدیع الزمان ، الكلمات (410/1) .
- 4 النورسي ، بدیع الزمان ، الكلمات ، (410/1 - 411) .
- 5 النورسي ، بدیع الزمان ، المكتوبات (304 - 305) .
- 6 النورسي ، الكلمات (137/1) .
- 7 النورسي ، بدیع الزمان ، الكلمات ، (139/1) .
- 8 النورسي ، الكلمات ، (138 /1) .
- 9 ابن القيم ، التفسير القيم - 389 - .
- 10 النورسي ، الكلمات ، (362-363/1) .
- 11 النورسي ، الكلمات (363/1) .
- 12 النورسي ، الكلمات (761-762/1) .
- 13 الميداني ، عبد الرحمن ، العقيدة الإسلامية وأسسها - 181 - .
- 14 النورسي ، الكلمات ، (354/1) .
- 15 النورسي ، الكلمات ، (139 /1) .
- 16 النورسي ، الكلمات (762/1) .
- 17 النورسي ، المكتوبات (530 /2) .
- 18 النورسي ، المكتوبات (305 /2) .
- 19 أخرجه البخاري (2736) ومسلم (2677) .

- 20 البخاري , دعوات , رقم الحديث ( 6410 ) , مسلم , الذكر والدعاء حديث رقم ( 6809 ) .
- 21 الترمذي , دعوات , رقم ( 3507 ) .
- 22 مسند أحمد ( 391/1 ) .
- 23 الميداني , عبد الرحمن , العقيدة الإسلامية وأسسها ( 173-174 ) .
- 24 الميداني , عبد الرحمن , العقيدة الإسلامية - 236 - .
- 25 البوطي , محمد سعيد , مدخل إلى فهم الجذور - 89 - .
- 26 الميداني , عبد الرحمن , العقيدة الإسلامية وأسسها ( 220 ) .
- 27 ابن القيم , مدارج السالكين .
- 28 النورسي , الكلمات , ( 184/4 ) .
- 29 أخرجه مسلم ( ج5/ص229 ) .
- 30 النورسي , الكلمات , ( 349-348/1 )
- 31 النورسي , الكلمات , ( 350/1 ) .
- 32 النورسي , الكلمات , ( 350 / 1 ) .
- 33 النورسي , الكلمات , ( 354-352/1 ) .
- 34 النورسي , الكلمات ( 759/1 ) .
- 35 النورسي , الكلمات , ( 760/1 ) .
- 36 سيد , في ظلال القرآن ( 119/7 ) .
- 37 زيدان , عبد الكريم , أصول الدعوة ( 23 ) .
- 38 سيد , في ظلال القرآن , ( 138/7 ) .
- 39 سيد , في ظلال القرآن ( 704/8 ) .
- 40 البوطي , مدخل إلى فهم الجذور ( 88 ) .
- 41 القرضاوي , يوسف , الإيمان والحياة ( 112-11 ) .
- 42 النورسي , الشعاعات ( 18/4 ) .
- 43 المصدر السابق ( 19/4 ) .
- 44 النورسي , الشعاعات ( 20/4 ) .
- 45 النورسي , الشعاعات , ( 21-20/4 ) .
- 46 النورسي , الكلمات ( 428/2 ) .
- 47 القرضاوي , يوسف , الإيمان والحياة ( 128 ) .
- 48 النورسي , الكلمات ( 761/1 ) .
- 49 القرضاوي , يوسف , الإيمان والحياة ( 117 ) .
- 50 الإيمان والحياة للقرضاوي ( 151 ) .
- 51 النورسي , الكلمات ( 762/1 ) .
- 52 سيد , في ظلال القرآن ( 598-597/5 ) .
- 53 البوطي , مدخل إلى فهم الجذور ( 50 ) .
- 54 البوطي , مدخل لفهم الجذور ( 88 ) .
- 55 النورسي , الشعاعات ( 181/4 ) .